بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمر الدولي الثالث للغة العربيّة

ورقة بحثية تحت عنوان

العدول الصرفي في ألفاظ القرآن الكريم

إعداد

الدكتور / عبد المجيد الجيلي إبراهيم فضل المولى

جامعة سرت (ليبيا) ـ كلّية التربية ـ قسم اللغة العربية

العام 2014 م

د. عبد المجيد الجيلي إبراهيم
جامعة سرت ـ ليبيا

مستخلص:

انفرد القرآن الكريم بأسلوبه الذي علا وسما على كلّ أسلوب ، حيث انفرد بألفاظه المنتقاة ذات الدلالة الفائقة , هذا إلى جانب تراكيبه وجمله التي تعد إعجازا لا يدانيه إعجاز ، فأنت حيثما تقلّب نظرك بين آياته ترى التفنن العجيب والتنوع الذي يبهر كل أديب , حيث يعطي للكلمة ما لا تعطيه كلمة أخرى بوزن معين وطريقة مبتكرة مما يضيف إلى معنى الكلمة معان ودلالات لا تتأتى إلا من خلال الصيغة التي جاءت بها ، ومما زاد الأمر عذوبة وإعجازا ذلك العدول الذي نلمحه في كثير من استخدامات الصيغ الصرفية التي تخللت أسلوبه العظيم , فتجده أحيانا يستخدم صيغة المفرد لكلمة ما ثم يعدل عن هذا الاستخدام إلى صيغة الجمع في موضع آخر لما يتطلبه الموقف من دلالات إضافية لا تقبل التبديل أو التغيير.

ومن هنا تولدت فكرة هذا البحث المتواضع ليغطي جانبا من العدول الصرفي المتّصل بألفاظ القرآن الكريم ، وبيان الدلالات المختلفة التي أضافها هذا الخروج عن المألوف الذي اعتادت عليه المسامع ، فكلام المولى- عز وجل -لا يضاهيه كلام البشر.

وقد اهتم علماء اللغة وبخاصة الأسلوبيين منهم بموضع التعبير والأداء الكلامي فجعلوه على مستويين :(1)

المستوى المثالي : ويتمثّل في المستوى النحوى الذي تتجلى فيه مثالية اللغة ، ودقتها.

المستوى الإبداعي :وهو المستوى الذي يتم فيه الخروج عن النمط المألوف للكلام ، وفيه تتباعد القواعد سواء كانت نحوية أو صرفية ، حيث تنتهك هذه القواعد انتهاكا يفضي بها إلى توليد معانٍ مبتكرة , وهذا ما يسمى بالعدول عن النظام اللغوي أوعن الأصل.

المحور الأول : الدراسة التمهيدية :

1 - 1 المقدّمة :

موضوع هذه الدراسة هو (العدول الصرفي المتّصل بألفاظ القرآن الكريم) ، وينصبّ حول بيان ظاهرة تناوب الصيغ الصرفية وآراء العلماء فيها ، ومناقشتها ، مع طرح الأمثلة وتتبّع الشواهد من القرآن الكريم بقراءاته المتواترة ، بخاصة تلك الآيات التي اختلفت حولها القراءات في ما يختص بالصيغ الصرفية التي ترمي إلى معنى واحد ، أو بينها تقارب في المعنى .

إنّ العلماء قد أجمعوا في ما بينهم على أنّ أسلوب القرآن الكريم خارج عن المألوف من كلام البشر ، لذا فقد تنبّهوا لما ورد فيه من عدول ، فتناوله علماء النحو والفقه والأصول بتسميات مختلفة كالعدول ، والانزياح ، والانحراف ، والخرق ، والخروج عن سنن اللغة ، والمجاز ، والالتفات ، قال السعدي : " هذا العدول قد عُبّر عنه في الدراسات الحديثة بمصطلحات عديدة منها : الانحراف ، والانزياح ، والانحلال ، والانتهاك ، والتجاوز ، والمخالفة ، واللحن ، وخرق السنن، والشفاعة ، والإطاحة ، والتحريف "(2) .

وعليه يمكننا تعريف العدول بأنّه : خروج عن النمط المألوف ، أو هو انتهاك ، وكسر الناطق أو الكاتب لأعراف الكلام الذي يستخدمه مع تحقيق الفائدة ، أو ما يحسن السكوت عليه .

أمّا الصرف فهو العلم بأحكام بنية الكلمة ، وما لأحرفها من أصالة وزيادة ، وصحّة وإعلال ، وإبدال ، وهو يطلق على شيئين :

1. تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني ، كتحويل المصدر صيغ الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل ...
2. تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها ، ولكن لغرض آخر ينحصر بالزيادة والحذف والقلب وغيره (3) .

ومن هذا وذاك يمكننا القول بأنّ العدول الصرفي هو ترك الوزن القياسي لوزن آخر لدلالة معنوية لا يتضمنها الوزن الأول ، وهذه الزيادة في الحروف وفق أوزان وصيغ معروفة في اللغة العربيّة بالاشتقاق ، وقد أخضعت هذه الزيادة الصوتية الصيغ إلى معايير قياسيّة سجّلت معها منظومة التحكّم الصرفية العربيّة أوزانها (4) ، إذ إنّ لكلّ حرف يُزاد على الصيغة الصرفية زيادة في المعنى، قال ابن جنّي : " إنّ زيادة المبنى إنّما جاء به المعنى "(5) .

2 - 1 أهمّية الموضوع :

تكمن أهمّية هذا الموضوع في كونه يربط علم الدلالة بعلم الصرف ، ممّا يعكس القيمة الحقيقية التي من أجلها أنشئ علم الصرف والتي تتمثّل في حصول المعاني المختلفة المتشعّبة عن المعنى الواحد(6) ، ممّا يدل على أنّ اختلاف صيغ المادّة الواحدة راجع إلى اختلاف معانيها ، إلى جانب ذلك فهناك أهمّية أخرى تنبعث من خلال الشواهد المستمدّة من آي الذكر الحكيم بوصفه كلام الله الذي لم يشوبه تعريف. كما تعدّ هذه الدراسة إضافة لجهود السابقين في ما يتعلّق بالعدول الصرفي في ألفاظ القرآن الكريم .

1 - 3 أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يأتي :

1. اقتفاء أثر اللغويين وتتبّع آرائهم في ما يتعلّق بالعدول الصرفي وبسط القول عليها .
2. الوقوف على التناوب بين الصيغ الصرفية ، ومدى تأثيره على توجيه القراءات القرآنية .
3. دراسة ظاهرة التبادل الصوتي من خلال تطبيقها على نصوص القرآن الكريم بقراءاته المتواترة .

1 - 4 منهج الدراسة :

التزم الباحث في هذه الدراسة بالمنهج الوصفي الاستقرائي التطبيقي ، وذلك باستقراء الصيغ الصرفية التي طالها العدول ، وجمع آراء العلماء ومناقشتها مع اتّخاذ القرآن الكريم ميدانا لتطبيق ما تمّ استقراؤه .

1 - 5 الدراسات السابقة :

لقد تعددت البحوث والدراسات التي تناولت الأبنية الصرفية إذ إنّ الصرف يُعد ميدانا خصبا للدراسة ، إلا أن هذه الدراسة ربطت بين الصيغ الصرفية من جهة وعلم الدلالة من جهة أخرى ، كما أنّها تناولت التناوب الصرفي للصيغ من خلال القراءات المتواترة للقرآن الكريم ، ولعلّ من أبرز الدراسات التي انصبّت في هذا الصدد :

1. بحث تحت عنوان دلالة المصدر الصرفية : أبو سعيد عبد الحميد ، الجامعة الإسلاميّة ـ ماليزيا ـ المجلّة (9) ، العدد (1) ، 2012م.
2. بحث تحت عنوان (الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة العربيّة : أحمد عبد العظيم ، دار النصر للنشر والتوزيع ، جامعة القاهرة ، د . ت .
3. بحث تحت عنوان (اسم الفاعل في القرآن الكريم) : سمير محمّد عزيز ، جامعة النجاح الوطنيّة ـ فلسطين 2004م .
4. بحث تحت عنوان (ظاهرة التحويل في الصيغ الزراعيّة) : محمّد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعيّة ـ الإسكندرية ـ 1985 م .
5. بحث تحت عنوان (دور البنية الصرفيّة في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها) : لطيفة إبراهيم النجّار ، دار البشير ـ الأردن 1994م .

على أنّ جميع هذه البحوث استعرضت للأبنية الصرفية من زاوية مغايرة تماما لطبيعة البحث الذي نحن بصدده ، والذي يضع الصيغ الصرفية في قالب التناوب الدلالي أو ما يعرف بالعدول الصرفي الذي يُعنى بعدول الصيغ عن معناها الأساس ، واختلاف الصيغة في المعنى الواحد .

6 - 1 هيكل الدراسة :

قامت هيكلة البحث على ثلاثة محاور أساسيّة وفقا للأدبيات المتّبعة في البحث العلمي المعاصر جاءت على النحو التالي :

المحور الأول : الدراسة التمهيديّة :

1 - 1 المقدّمة .

1 - 2 أهمّية الدراسة .

1 - 3 أهداف الدراسة .

1 - 4 منهج الدراسة.

1 - 5 الدراسات السابقة .

1 - 6 هيكل الدراسة .

المحور الثاني : مباحث الدراسة :

المبحث الثالث : الخاتمة :

1 - 3 نتائج الدراسة .

2 - 3 التوصيات .

3 - 3 ثبت المصادر والمراجع .

المحور الثاني : مبحث الدراسة :

القرآن الكريم كتاب الله الذي سما وعلا عن كلّ كتاب ، اختيرت ألفاظه بدقّة متناهية وعناية فائقة نلمحها من خلال العدول الذي نتبينه في ثنايا آياته والذي لم يكن لحشو أو زيادة ، وإنّما كان تتمّة لمعنى احتاج له السياق ، ويمكننا أن نتتبع هذا العدول من خلال العدول من صيغة إلى أخرى .

إنّ كل صيغة صرفية تحمل في طيّها معنىً لا تحمله صيغة أخرى مثال لذلك صيغة " فاعِل " في قوله تعالى :(مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ) (المؤمنون / 67) حيث جاء باسم الفاعل " سامرا " وهو جماعة السامرين يتحدّثون ليلا مأخوذ من السمر حيث عدل به عن لفظ الجمع إلى لفظ المفرد ، دلّ على ذلك قوله " مستكبرين " ، وقد قرأ أبو رجاء " سُمّاراً " جمع سامر ... وبُقال السمير الدهر ، وأبناه : الليل والنهار(7)

وقد تأتي فاعل بمعنى مفعول كما في قوله تعالى :(لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) (هود / 43) ، بمعنى " لا معصوم " فعدل عن " مفعول " إلى فاعل فأصبحت صيغة فاعل هنا دالة على الحدث بدلا من الدلالة على فاعله ، وقد أشار السيوطي إلى ذلك بقوله : " ولم يأت عنهم فاعل بمعنى مفعول إلا قولهم : تراب ساف، إنّما هو مسفيّ ؛ لأنّ الريح سفته ، وعيشة راضبّة بمعنى مرضيّة ، وماء دافق ، بمعنى مدفوق ، وسرّ كاتم ، بمعنى مكتوم ، وليل نائم ، بمعنى قد ناموا فيه " (8).

وكثيرا ما نجد كلمة وردت بصيغة في آية ثم تم العدول عنها في آية أخرى لصيغة تخدم السياق ، وتضفي عليه دلالة إضافيّة ، فكلمة " نزّل " وهي على وزن فعّل تدل على التكثير والتكرير نجدها وردت بصيغتين مختلفتين في آية واحدة ، وهي قوله تعالى : (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ) (آل عمران / 3) حيث جاء بالفعل " نزّل " مع القرآن الكريم وذلك لأن القرآن نزل منجّما ، ولم ينزل دفعة واحدة ، بينما عدل عن صيغة " فعّل " إلى صيغة تخدم المعنى مع التوراة والإنجيل فاستخدم " أنزل " ؛ لأنّهما نزلا دفعة واحدة ، فاختلفت الصيغتان لاختلاف النزول .

وكذا في وصف (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (آل عمران / 167) فالصرّ ريح باردة تهلك الزرع والحرث وهي عل " فعْل " .

وقال في موضع آخر : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) (الحاقة / 6) فالصرّ ريح باردة قارسة تحرق النبات ، وقيل أصلها " صرّر من الصرّ، فاللفظتان أصلهما واحد ، وإن اختلفت الصيغة " فعل " في سورة آل عمران و " فعلل " في سورة الحاقة ، فلكلّ منهما دلالة ، ففي الآية الأولى شبّه إنفاق الكافر لأمواله ابتغاء المفاخرة لا يبتغي فيه وجه الله بالزرع الذي هبّت عليه ريح باردة جعلته حطاما ، ولما كان ضياع أجر الكافر تلقاء ما يقدّمه من عمل لا يبتغي به وجه الله كان هو الأهم إذا ما قورن بالعقاب ، عدل إلى صيغة " فعّل " أما في الآية بسورة آل عمران فقد كان العذاب والعقاب هو الأهم لذلك جاء بصيغة فعلل للدلالة على شدّة الريح العاصفة التي يكون لها دويّ ، فضعّف العين للدلالة على شدتها وتكرارها ممّا يبيّن مقدار العذاب .

وأحيانا تترادف الصيغ فتأتي بمعنى واحد وتختلف في البناء ، كأن تذكر الصيغة بمعنى صيغة أخرى ، أو تُذكر الصيغتان ويقال إنّهما بمعنى واحد ، أو تذكر الصيغة ، ويقال إنّها نقلت من معنى إلى معنى آخر ، ونلحظ ذلك في مجيء صيغة " استفعل " بمعنى " أفعل " كما في قوله تعالى : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) (البقرة / 17) ، وقوله تعالى : (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)(هود / 61) وقوله تعالى : (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (الأنعام / 10) ، ففي هذه الآيات نلاحظ أنّ الكلمات " استوقد ، واستطاع ، واستعمر ، واستهزأ " على وزن " استفعل " إلا إنّها جاءت بمعنى " أوقد ، وأعمر ، ويهزؤون " على وزن " أفعل " ؛ وذلك لموافقة معنى الآيات التي وردت فيها ، ولقد أشار إلى ذلك مجاهد ، والقرطبي ، وأبو حيان وغيرهم من المفسرين (9) .

وقد أكّد الصرفيّون مجيء " استفعل " بمعنى " أفعل " قال الرضي في شرح الشافية " تقول استخرجت الوتد، ولا يمكن ههنا طلب في الحقيقة ، كما يكمن في " استخرجت زيدا " إلا أنّه بمزاولة إخراجه ، والاجتهاد في تحريكه كأنّه طلب منه أن يخرج ، فقولك : أخرجته ، لا دليل فيه على إنّك أخرجته بمرّة واحدة ، أو مع اجتهاد بخلاف استخرج فجاء استخرجت " بمعنى " أخرجت " (10) ، وهذا ما أكّده علماء اللغة المعجميّون والمعاصرون . يقول الدكتور عبده الراجحي : " وقد يأتي استفعل بمعنى أفعل مثل : أجاب واستجاب ـ أيقن واستيقن " (11)

وأحيانا يؤتى بفعل رباعي يليه مصدر معدول فيه إلى مصدر الثلاثي بدلا من الرباعي ، نلحظ ذلك في مثل قوله تعالى : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا

زَكَرِيَّا)(آل عمران / 37) حيث جاء بالفعل الرباعي " تقبّل " والمنتظر أن يأتي بعده بمصدره " " تقبُّل " إلا أنّه عدل عنه إلى مصدر الثلاثي " قُبُول ، الفعل " أنبت " في الآية ذاتها في شأن الثناء على مريم عليها السلام ، لم يقل " إنباتا " لأن القصد الثناء عليها وعلى أصلها الكريم ، فمريم عليها السلام أنبتها جلّ وعلا نباتا حسنا فجاء بالمصدر على " فِعال " لأجل المطاوعة حيث طاوعت وقبلت أن تكون هكذا وهذا فضل يرجع إليها ، ولو قال " إنباتا " لتجردت من هذا الفضل وآل الأمر كلّه لله فيكون أنبتها كما يشاء ، غير أنّ الله أراد الثناء على مريم بإشراكها في هذا الأمر ، فجمع بين الأمرين ، إنباتها بمشيئته ، وإثبات الفضل لها بمطاوعتها ، فقال نباتا ولم يقل إنباتا .

وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم نجد العدول من صيغة اسم المفعول إلى صيغة اسم الفاعل كما في قوله تعالى :(وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) الشورى / 16) حيث احلّ اسم الفاعل محل اسم المفعول ، ولم يكن الأمر مجافاة للمعنى وبعدا عنه حيث جاء بداحضة ، والمراد " مدحوضة " قال الشريف الرضي : " وهذه استعارة ، والدحض : الزلق ، فكأنّه قال تعالى : حجّتهم ضعيفة غير ثابتة ، وزلّة غير متماسكة ، كالواطئ الذي تضعف قدمه فيزلق عن مستوى الأرض ، ولا يستمر على الوطء ، وداحضة ههنا بمعنى مدحوضة ، وإذا نسب الفعل إليها في الدحوض كان أبلغ في ضعف سنادها ووهاد عمادها ، فكأنّها المبطلة لنفسها من غير مبطل أبطلها ، لظهور أعلام الكتب فيها ، وقيام شواهد التهافت عليها ، وأطلق تعالى اسم الحجّة عليها ، وهي شبهة لاعتقاد المدلي بها أنّها حجّة وتسمية لها بذلك في حال النزاع والمناقلة " (12) .

فالقاعدة الصرفيّة المطّردة تقتضي استعمال داحضة اسما للفاعل ، لأنّ كل صيغة صرفيّة لها معنى تؤديه وفقا للأصل ، وقد يحدث العدول عن هذا الأصل لدواع بلاغية أو دلاليّة ، أو نفسيّة ، ممّا يعمّق المعنى وينحى به منحىً سامي الدلالة تقود إليه قرينة الاستعمال العدولي .

وربّما وقع العدول في ما يتعلّق بأزمنة الفعل أي التناوب بين صيغة الماضي والمضارع ، فقد يعدل من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع ، وقد يحدث العكس ، انظر إلى قوله تعالى : (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (النحل / 1) فالفعل " أتى " في الآية الكريمة فعلا ماضيا صرفا ، إلا أنّ السياق الذي ورد فيه يضفي

عليه دلالة الاستقبال ؛ لأن القرينة اللفظيّة " فلا تستعجلوه " تفيد عدم وقوعه بعد ، إلا أن حتمية وقوعه لا محالة وهو أمر قاطع يتنافى مع الشك والاحتماليّة ، لذا حدث العدول فاحتملت صيغة الماضي معنى المستقبل ، لأجل ذلك وظّفت هذه الصيغة وتمّ العدول من المضارع للماضي (13) .

وفي قوله تعالى : (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام / 109) فكلمة " جَهْد " في الآية الكريمة معناها الأغلظ الأشد وهي على " فَعْل " ، غير أنّه عدل عن هذه الصيغة إلى صيغة " فُعْل " في موضع آخر ، يقول تعالى : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (التوبة / 79) قال الفرّاء في ذلك : " الشَّرْب والشُّرْب مصدران ، وقد قالت العرب آخرها أقلّها شُرْبا وشِرْبا وشَرْبا " (14) ومثله الجَهْد بالفتح ، والجُهْد بالضم كما في الآيتين ..

ومن العدول ما كان من الفعل إلى اسم الفاعل بقصد المبالغة ، كما في قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (البقرة / 8) ، ا في قوله " وما هم بمؤمنين " الأصل " ما آمنوا " ؛ ليطابق قوله " " من يقول آمنّا " ، ولكنّه عدل عن الفعل إلى اسم الفاعل للمبالغة في نفي الإيمان عنهم (15)

أمّا قوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ) (هود / 12)فلفظة " ضائق " هنا اسم فاعل والمراد الصفة المشبهة " ضيّق " فعدل عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل ليدلل على أنّ الضيق عارض غير ثابت ، جاء في شرح المفصل : " إذا قصد الحدوث في الحال أو في ثاني الحال جيء باسم الفاعل الجاري على المضارع الدال على الحال أو الاستقبال ، وذلك قولك هذا حاسن غدا ... وعدل عن ضيّق إلى ضائق ليدل على أنّه ضيق عارض في الحال غير ثابت " (16) .

وقد يحدث العدول من الإفراد إلى الجمع والعكس وغالبا لا يوجد فرق في الدلالة والمعنى بين اللفظ في حالتي الإفراد والجمع ، ولكن في ألفاظ القرآن الكريم المعجزة هناك تحوّل كبير في دلالة اللفظ وتباين في معناه في حالتي الإفراد والجمع ، فقد تستخدم اللفظة في القرآن الكريم بصيغة المفرد ثم يتم العدول عنها إلى صيغة الجمع في موضع آخر حيث يتولّد من ذلك العدول معنى يتناسب مع السياق الذي وردت فيه .

ففي كثير من الآيات وردت لفظة " السماء " بصيغة المفرد ، ثمّ تمّ العدول عنها في مواضع أخرى إلى صيغة الجمع الدالة على السعة والكثرة ، نحو قوله تعالى : (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) 0 الحديد / 1) أي جميع من في السموات ممّا يدل على التناسب بين صيغة الجمع والكثرة المقصودة لذاتها ، ومثله قوله تعالى : (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (الإسراء / 44) أي كلّ واحدة على اختلاف عددها ، فجيء بصيغة الجمع عند بيان العدد ، وبيان قدرته جلّ وعلا .

وفي حالة إرادة الجهة يحدث العدول إلى صيغة الإفراد نحو قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) (المؤمنون / 18) فالآية تشير إلى أن المطر ينزل من السماء بقدرة الله عزّ وجلّ فبيّن جهة نزول الماء ؛ لذا جاء بصيغة الإفراد .

ومثله قوله تعالى : (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) (الملك / 16) .

على أنّ هناك ألفاظ اجتمعت بصيغتي الإفراد والجمع في سياق واحد لتدل كل واحدة على معنى إضافي يقوّي المعنى ويزيده وضوحا واتّساقا ، قال تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأنعام / 153) فجاءت لفظة " سبيل " في بداية الآية بصيغة الجمع " سُبُل " ؛ لأنّها تدلّ على الباطل ، والباطل طرقه كثير ومتعددة ، ثمّ عدل عن الجمع إلى صيغة المفرد في نهاية الآية لمناسبة طريق الحق الذي يتسم بكونه واحدا ، فكان هذا إعجازا بيّنا لما فيه من عمق في المعنى وتمييز بين الحقّ والباطل بمجرّد العدول من صيغة إلى صيغة أخرى.

وكذا الحال في لفظتي " الريح " و " الرياح " حيث اختصّ القرآن مواضع العذاب والعقوبة بلفظة " الريح " المفردة " كما في قوله تعالى : " وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) (الأنبياء / 81)

وقال تعالى : (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) (فصلت 16) فحاء بصيغة المفرد ؛ لأنّها وقعت في وصف العذاب والهلاك .

وفي آيات أخرى عدل عن لفظ المفرد إلى لفظ الجمع وذلك في المواضع الدالة على إظهار الرحمة والخير ، كما في قوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الروم / 46)..

وقال في موضع آخر : (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) 0 الأعراف / 57) فهذه رياح فيها بشرى للمؤمنين بالغيث الوافر وهي ريح تتشعب طرقها وهي تسوق السحاب من صوب إلى صوب مما جعل صيغة الجمع تناسب المعنى .

3 ـ المحور الثالث : الخاتمة :

3 - 1 نتائج الدراسة :

لا أدّعي في هذا البحث أنني طرقت بابا جديدا لم أسبق إليه ، لأنّ ذلك يتنافى مع طبيعة الدراسات الصرفيّة ذات الطابع الدلالي ، لكن حسبي من ذلك أنني بذلت الجهد وأخلصت القصد ، من خلال تناولي للعدول الصرفي في بساط النصوص القرآنية ، ذلك الجهد الذي تمخّض عن النتائج الآتية :

1. إنّ العدول في أبنية الصيغ الصرفية يعد من أسباب حدوث الترادف في ألفاظ اللغة العربية .
2. إنّ لدلالة الصيغة أثر واضح على دلالة المعجم ، ممّا يؤكّد العلاقة الوطيدة بين الصيغة والدلالة ، أو بين علم الصرف وعلم الدلالة .
3. تأكّد من خلال هذا البحث أن زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى ، إذ إنّ الصيغ المجرّدة حينما يعدل عنها بالصيغ المزيدة إنّما يكون ذلك تأكيدا لمعناها وتعميقا له .
4. تبين من سير الدراسة أن العدول في الصيغ الصرفية في القرآن الكريم لم يكن من أجل مخالفة قواعد اللغة ، وإنّما كان لغرض معيّن ممّا يؤكّد صحّة القول بأنّ أهل الحجاز كانوا يحولون المفعول فاعلا إذا كان في محل نعت .
5. إنّ العدول الصرفي في ثنايا الآيات القرآنية يعد وجها من وجوه الإعجاز .
6. كلّ صيغة عُدل عنها إلى صيغة أخرى تحمل في طياتها معنى لا تحمله الصيغة الأخرى

3 - 2 التوصيات :

يعد القرآن الكريم بقراءاته المتواترة مجالا خصبا للدراسات التطبيقية بخاصة النحوية والصرفية ؛ لذا فعلى الدارسين والباحثين في مجال اللغة العربية اتّخاذه المصدر الأول والأوثق من بين مصادر التشريع اللغوي ، على أن البحث العلمي من خلال القرآن الكريم يخدم هذا الكتاب العظيم الذي تعهّد المولى بحفظه .

ومن جانب آخر فإنّ الدراسات الصرفية مجال رحب ، وأنّ ظاهرة العدول في الألفاظ تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث المستقصي لما لها من علاقة بعلم الدلالة فمجالها واسع وما زال مفتوحا أمام الباحثين .

المصادر والمراجع :

1) الصور المدنية دراسة بلاغية أسلوبيّة : عهد عبد الواحد ، دار الفكر ـ عمان ـ ط الأولى ، الفصل الثالث ، ص 92 .
2) الأسلوبية والأسلوب : عبد السلام السعدي ، الدار العربيّة ، تونس ، د . ت ، ص 90 .
3) الشامل ، معجم في علوم اللغة العربيّة : محمّد سعيد ، بلال جنيدي ، دار العودة ـ بيروت ـ ط2 ، 1985م ، ص 291 .
4) الأسلوبيّة وثلاثية الدوائر البلاغيّة : عبد القادر عبد الجليل ، دار الصفاء ـ الأردن ـ ط الأولى ، 2002م ، ص 324 .
5) الخصائص : ابن جنّي ، تحقيق : محمّد علي النجّار ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ـ بيروت ـ ط3 ، 1986م ، ج1 / 233.
6) البرهان في علوم القرآن : الإمام بدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ـ دار التراث ، 1376هـ ، ج1 / 297 .
7) الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي : تأليف : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ـ القاهرة ج12 / 136 ـ 137 .
8) المزهر في علوم اللغة وآدابها : جلال الدين السيوطي ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ـ ط الأولى 1998 م ، ج2 / 93 .
9) الجامع لأحكام القرآن : تأليف أبي عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، عالم الكتب ـ الرياض ـ السعودية ، 2003م ، ج9 / 56 .
10) شرح شافية ابن الحاجب : تأليف رضي الدين محمّد بن الحسن الاستراباذي ، تحقيق : محمّد نور الحسن ، ومحمّد الزفزاف ، ومحمّد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ـ لبنان ط الأولى 1975م ، ج1 / 110 .
11) تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، دار الهداية ، ج11 / 522
12) تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي ، تحقيق : محمّد عبد الغاني حسن ، دار إحياء الكتب العلمية ـ القاهرة ـ 1979 م ، ص 211 .
13) المصدر نفسه ، ص 297 .
14) معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجّار ـ القاهرة ـ دار الكتب المصرية ، 1955 م ، ج2 / 282 .
15) صفوة التفاسير : الصابوني ، مكتبة جدّة ـ مكّة المكرّمة ـ 1976 م ، ج1 / 38.
16) البحر المحيط : أبو حيّان الأندلسي ، دار الفكر ـ بيروت ـ ط2 1983 م ، ج1 / 453 .